الفصل السادس

مع بني أمية

لم يتغير مسلك أبي هريرة مع الأُمويين عما كان عليه مع الخلفاء الراشدين، بل استمرت سيرته ومَضَتْ مواقفُه على النهج الذي تربَّى عليه في ظلال النبوة، وانتهجه مع الخلفاء الأربعة الكرام البررة، فبايع معاوية وعَرف له حقَّ الطاعة، ووَسِعَه في ذلك ما وَسِعَ السيدَ المُمدَّح الحسنَ بن علي بن أبي طالب، الذي قال فيه جدُّه رسول الله ﷺ: «إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يُصْلِح به بين فئتين عظيمتينِ من المسلمين»[1]، والذي تنازَلَ عن الخلافة لمعاوية وسَلَّم الأمر إليه وبايَعَه، وكذلك بايَعَ الصحابةُ الموجودون آنذاك.

وهَدْيُ أبي هريرة الصحابي المُتَّبِع للنبي ﷺ مع الحاكم والأمير، كائناً من كان، أن يُطيعه ما رَشَدَ واستقام، ويَنصحه إن أخطأ، ويُرشده إن زَلَّ، ويُنكر عليه إذا خالَفَ، وهكذا كان مع الأمويين، لا كما يُصوِّره

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) ـ واللفظ له ـ؛ وأبو داود (٤٦٦٢)؛ والترمذي (٣٧٧٣)؛ والنسائي في الكبرى (١٧٣٠)؛ وأحمد (٢٠٣٩٢)؛ وابن حبان (٦٩٦٤).

المُرجِفون في الأرض، الذين يَختلِقُون الأكاذيب، ويزوِّرون الحقائق، ويتلاعبون بالنصوص، لِيُضَلِّلوا العامة عن سواء السبيل، ويقودوا الرَّعاع إلى مذهبهم الباطل الذي شيَّدوه على بُغْضِ أصحاب رسول الله ﷺ والتشكيك بنياتهم وأعمالهم.

مع معاوية بن أبي سفيان:

بايع أبو هريرة معاوية بعد صُلْحه مع الحسن بن علي رضي الله عنهم، وكان معاوية يعرف للصحابة فضلَهم وسابقَتَهم، فتراه يُوصي أميرَه مروانَ بن الحَكم بأبي هريرة خيراً، ويأمره باستخلافه على المدينة إذا خرج منها، ويَخُصُّه بعد وفاته بصلةٍ لأهله وبنيه.

وأحبَّ أبو هريرة أن يَسكن في قرية مجاورة من المدينة، فسكن بِذي الحُلَيْفَة[1]، فأقطعه معاوية أرضاً هناك بوادي العَقيق فيما قيل. وذو الحُلَيْفَة موطنٌ أجدبُ لا زرعَ فيه ولا ضَرْعَ، ووادي العقيق سكنه بعضُ الصحابة لامتداحِ النبي ﷺ له بأنه وادٍ مبارك. كما أن السكنى في ضاحية المدينة فيها بعدٌ عن ازدحام الناس وصَخَبِ الأسواق وضجيج الوافدين. فيكون في ذلك كلِّه راحةُ النفس، وهدوءُ البال، وطلاقةُ الفكر، وطِيبُ الجو ونقاؤه.

---

(١) قرية بظاهر المدينة على طريق مكة، بينها وبين المدينة تسعة كيلومترات، وتقع بوادي العقيق عند سفح جبل «عَيْر» الغربي. المعالم الأثيرة، ص١٠٣.

ويستغلُّ بعض الشانئين كمحمود أبي رية وغيره فعلَ معاوية هذا، ويصرِفُه عن وجهه، ويزعمُ أن فيه استمالةَ معاوية أبا هريرة إلى جانبه، لرواية أحاديث في فضائله ورغباته والحَطِّ على عليٍّ! وحاشَا الصحابةَ من ذلك، فلو أن معاوية أراد استمالة أبي هريرة والإغداقَ عليه، لاستدعاه إلى الشام حيث المياه الفوَّارة والبساتين الغَنَّاء والجو الرائق والحياة الرغيدة لمن يحب.

وسيأتي الرد على هذا الافتراء وغيره في فصل مستقل.

قال الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رحمه الله: (لو كان لإقطاع أبي هريرة من بني أمية أصلٌ لكان بأرض الشام، أرضِ الجنات والبساتين، لا أرض العقيق وذي الحُليفة، الصحراء القفراء الجدباء)[1].

وقال الواقِديُّ: حدثني ثابت بن قَيْس، عن ثابت بن مِشْحَل قال: (كَتَب الوليد بن عُتْبة إلى معاوية يُخبره بموت أبي هريرة، فكتب إليه: انظرْ من تَرَك فادْفَع إلى وَرثتِه عشرة آلاف درهم، وأَحْسِن جِوَارَهم، وافْعَلْ إليهم معروفاً، فإنه كان ممن نَصر عثمانَ، وكان معه في الدار، فرحمه الله)[2].

فهذا من بِرِّ معاوية رضي الله عنه وإحسانِه لهذا الصحابي الجليل

---

(١) ظلمات أبي رية، ص١٨٥.

(٢) طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٤٠؛ المستدرك: ٣/ ٥٠٨؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٩١.

وحفظِه له في ذريَّتِه من بعده. ولو كان معاوية يريد استمالةَ أبي هريرة ـ وحاشا الصحابيين من ذلك ـ لأَغْدَقَ عليه المال في حياته وليس بهذا المبلغ الزهيد بعد وفاته!.

وقد دخل الحسن بن علي على معاويةَ، فقال معاوية: لأُجِيزَنَّك بجائزةٍ لم أجزْ بها أحداً، فأجازه بأربع مئة ألف، أو: بأربع مئة ألف ألف، فقبلها[1]. فهل كان معاوية يُصانِع الحسنَ بهذا، وكان الحسن يُداهِنُه؟! حاشا وكلا.

مع مروان بن الحَكَم:

ولد مروان بعد الهجرة بسنتين، وقيل: بأربع، وهو تابعي كبير إمام، روى عن النبي ﷺ ولا يَصحُّ له سماعٌ منه، وروى عن جماعة من الصحابة منهم: عثمان وعلي وأبو هريرة، وروى عنه الصحابي سَهْل بن سعد، وزين العابدين علي بن الحُسين وأربعة من الفقهاء السبعة: سعيد ابن المسيِّب وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة وعروة بن الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. وحديثُه عند البخاري وأصحاب السنن الأربعة وأحمد وغيرهم.

قال العلامة محبُّ الدين الخطيب: (والذي يتأمَّل في الأحاديث

---

(١) ذكره الذهبي في السير: ٣/ ٢٦٩ في ترجمة الحسن بن علي، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

المروية عن مروان يجد حَمَلَتَها من الأئمة الثقات تَتسَلسلُ روايتُهم عنه مدَّة جيلين وأكثر، وكلُّهم أعلى مرتبةً في الإسلام من الذين يَبْرُدون الغِلَّ الذي في قلوبهم بالطعن في مروان ومن هو خير من مروان!)[1].

ولقد تتبَّعتُ كثيراً من مواقف مروان في كتب السنة الأصول والأحاديث الصحيحة الثابتة، فاستبانَ لي حِرصُ هذا الرجل على الإسلام، وتمسُّكه بهَدْي النبوة، وعنايتُه العظيمة بآثار النبي ﷺ وسُنَنِه وتطبيق أحكامه بأقصى ما يمكن أن يصدر من أئمة الإسلام وأمرائهم[2].

وكان مروان كاتباً لعثمان وأميناً لسرِّه، واتهامُه بتزوير خاتمه وإرسال الكتاب المزعوم إلى أمير مصر فريةٌ سخيفة صَدَّقها المُؤرِّخون ونشرها المغرِضون وراجت على الغوغاء.

ولقد صَدَق الإمام أبو بكر بن العربي عندما قال: (مروانُ رجلٌ عَدْل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين: أمَّا الصحابة فإن سَهْل بن سعد الساعديَّ روى عنه. وأما التابعون فأصحابه في السِّنّ، وإن كان جازَهُم باسم الصحبة في أحدِ القولين. وأما فقهاء الأمصار فكلُّهم على تعظيمه، واعتبار خلافِه، والتلفُّتِ إلى فتواه،

---

(١) هامش العواصم من القواصم، ص١٠١.

(٢) وهذا ضمن كتاب لي بعنوان: «صفحات مشرقة منسية من تاريخ بني أمية»، أرجو الله أن يوفقني لإخراجه.

والانقيادِ إلى روايته. وأما السُّفَهاء من المؤرِّخين والأُدباء فيقولون على أقدارهم)[1].

وكان مروان أميراً لمعاوية على المدينة، فكان إذا غاب عنها يَستخلف عليها أبا هريرة كما ذكرنا سابقاً، لأنه من أعيان الصحابة هناك، وله من المنزلة الرفيعة عند الناس ما لا يخفى على أحد.

وعلاقةُ أبي هريرة بمروان كانت كما أَمر الإسلام في نصوصه الواضحة الصريحة: الطاعةُ بالمعروف مالم يَرَ كفراً بَوَاحاً، ومناصحةُ الأمير، وإرشادُه للخير، وتوجيهُه للقيام بمصالح الأمة، وحَثُّه على ملازمةِ السُّنَّة، والإنكار عليه إذا خالَفَها، دونما سكوت أو مُداهنة. فكان يجد منه سلوكَ الأمير المسلم المتَّبع، لا كما يتخيَّلُه الإخباريون وأصحاب الهوى، من أن مصاحبتَهُ له لأغراض دنيوية ومصالح شخصية، وأن مروان كان ذاكَ الأمير المستهتر بأمور الدين والأمة، الحريصَ على شراء الذِّمم وابتزازِ الضعفاء، حاشا أولئك الكبار من افتراءات الصغار.

قال محمد بن إسحاق: حدَّثني عِياضُ بن دينار اللَّيثي، وكان ثقةً، قال: (سمعتُ أبا هريرة وهو يَخْطُب الناسَ يوم الجمعة، خليفةً لمروان بن الحَكَم على المدينة أيامَ الحجِّ، يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «أولُ زمرةٍ من أمتي تدخلُ الجنَّةَ على صورة القمر ليلة البَدْر، والتي تليها

---

(١) العواصم من القواصم، ص١٠١ ـ ١٠٢.

على أَشَدِّ نَجْم في السماء إضاءةً»)[1].

وروى بُكَيْر بن عبد الله بن الأَشَجِّ، عن سُليمان بن يَسَار: (أن صِكَاكَ التُّجَّار خرجَتْ، فاستأذن التجارُ مروانَ في بيعها، فأَذِنَ لهم، فدخل أبو هريرة عليه، فقال له: أَذِنْتَ في بيع الرِّبا، وقد نَهَى رسولُ الله ﷺ أن يُشْتَرى الطعامُ ثم يُباع حتى يُسْتَوْفَى؟! قال سُليمان: فرأيتُ مروانَ بَعَثَ الحرسَ فجعلوا يَنتزعونَ الصِّكَاكَ من أيدي من لا يَتَحَرَّجُ منهم).

وفي رواية: (فَخَطَبَ الناسَ مروانُ، فَنَهى عن بَيْعِها. قال سُليمان: فنظرتُ إلى حَرَسِ مروانَ يأخُذُونها من أيدي الناس)[2].

وروى ابن عبد ربِّه في «العِقْد الفريد» هذا الموقف لأبي هريرة مع مروان الأمير الأموي على المدينة: (أبو بكر بن أبي شيبة قال: قام أبو هريرة إلى مروان بن الحكم، وقد أبطأ بالجمعة، فقال له: أَتَظَلُّ عند ابنةِ فلان تروِّحُكَ بالمراوح، وتسقيكَ الماء الباردَ، وأبناءُ المهاجرين والأنصار يُصْهَرون من الحرِّ؟! لقد هممتُ أن أفعلَ وأفعلَ! ثم قال:

---

(١) أخرجه أحمد (٧٤٨٦) و(٧٤٨٩)؛ وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٨٣٦٥) و(٨٥٨٩) ـ واللفظ له ـ؛ ومسلم (١٥٢٨). قوله: (أن صِكاكَ التجار...): قال ابن الأثير: (هي جمع صَكّ وهو الكتابُ، وذلك أن الأمراء كانوا يَكتبُون للناس بأرزاقهم وأَعْطياتهم كُتُباً، فيبيعون ما فيها قبل أن يَقْبِضُوها تعجُّلاً، ويُعطون المشتريَ الصَّكَّ ليمضيَ ويَقْبِضَه، فَنُهُوا عن ذلك لأنه بيعُ ما لم يُقْبَض). النهاية: ٣/ ٤٣.

اسمعوا من أميركم)[1].

وروى معاوية بن صالح، عن صفوان بن عَمْرو، أنه سمع أبا مريم مولى أبي هريرة يقول: (مرَّ أبو هريرة بمروانَ وهو يبني داره التي وسط المدينة، قال: فجلستُ إليه، والعمال يعملون، قال: ابنوا شديداً، وأَمِّلوا بعيداً، ومُوتوا قريباً، فقال مروان: إن أبا هريرة يحدِّث العمالَ، فماذا تقولُ لهم يا أبا هريرة؟ قال: قلت: ابنوا شديداً، وأمِّلوا بعيداً، وموتوا قريباً. يا معشر قريش ـ ثلاث مرات ـ اذكروا كيف كنتم أمس، وكيف أصبحتم اليوم تُخْدَمون، أرقاؤكم فارس والروم! كلوا خبز السَّمِيذ واللحم السمين، لا يأكلْ بعضكم بعضاً، ولا تكادَمُوا تكادُمَ البَراذين، وكونوا اليوم صغاراً تكونوا غداً كباراً، والله لا يرتفع منكم رجل درجة إلا وضعه الله يوم القيامة)[2].

وقال حماد بن سَلَمة: أخبرنا عاصم بن بَهْدَلة، عن يزيد بن شَريك: (أن الضَّحَّاك بن قَيْس أَرسل معه إلى مروانَ بكُسْوةٍ، فقال مروان: انظُروا مَن ترون بالباب؟ قال: أبو هريرة. فأَذِنَ له، فقال: يا أبا هريرة، حَدِّثْنا بشيءٍ سمعتَهُ من رسول الله ﷺ. فقال: سمعتُه يقول: «لَيَتَمَنَّيَنَّ أقوامٌ وَلُوا هذا الأمرَ أنهم خَرُّوا من الثُّرَيَّا وأنهم لم يَلُوا شيئاً».

---

(١) العقد الفريد: ١/ ٥٣.

(٢) المستدرك: ٤/ ٤٦٣. والسَّمِيذ: لغةٌ في السَّمِيد، معرَّب، وهو لُبَاب الدقيق. ولا تَكَادَمُوا: تكادَمَ الفَرَسانِ: عَضَّ أحدُهما صاحبَهُ.

قال: زِدْنا يا أبا هريرة. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يَجري هلاكُ هذه الأمة على يَدَيْ أُغَيْلِمةٍ من قريش»[1].

ولأبي هريرة مواقف أخرى مع مروان[2]، وتقدَّم ذِكْر طَرف آخر منها، وكلُّها كانت في مدَّة إمارته على المدينة المنورة، وله السلطان والقوة والجاه، وفي إبَّان حُكْم الأُمويين وقوة دولتهم وانتشار سلطانهم، فلم يتوانَ أبو هريرة عن الصَّدْع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع طاعته لولاة الأمر القائمين بحكم الإسلام، فلقد كان يَعرف ما لبني أمية من أيادٍ بيضاءَ وحسناتٍ كبار في قيام دولة الإسلام وتوطيدِ أركانه ونشرِ رسالته، فكان رضي الله عنه يجمع بين الأمرين، ويحقق المصلحتين، وذلك هو المنهج القويم والسلوك المستقيم، فأين هذا من افتراءِ المُفترين وكَذِب الشانئين وتقوّلاتِ المُبْغِضين؟!.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (٨٩٠١) و(١٠٧٣٧) ـ واللفظ له ـ؛ والحاكم: ٤/ ٩١ دون قوله: (قال: زدنا يا أبا هريرة...)، وصححه وأقره الذهبي، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

(٢) انظر مثلاً: البخاري (٣٦٠٥) و(٧٠٥٨)؛ ومسند أحمد (٨٣٠٤)؛ وصحيح ابن حبان (٦٧١٢) و(٦٧١٣).

الباب الثالث

شخصيته العلمية

شواهد الحق على غزارة علمه وأصالته وحفظه وضبطه وانتشاره

الفصل الأول : طلبه العلم واجتهاده في تحصيله .

الفصل الثاني : حفظه الخارق من معجزات النبوة .

الفصل الثالث : القارئ الإمام .

الفصل الرابع : الحافظ الكبير الشهير .

الفصل الخامس : الفقيه المفتي .

الفصل السادس : تصدره لنشر العلم .